

الرسائل الشامية (2):

# الفارق المبين بين الموحدين والمشركين

جابر بن عبد القيوم  
الساعدي الشامي  
أبو قتيبة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وجنده، وعلى كل من اتبع سنته وسار على هديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل وخلق السموات والأرض وما بينهما، وخلقنا، وخلق كل شيء ليعبد الله ويطاع وحده لا شريك له، ويكفر بكل ما يعبد من دونه، وبكل مطاع سواه.

قال الله تعالى ذكره: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} <sup>1</sup>. أي: يوحدون.

فأعظم ما أمر الله تعالى به هو: عبادته وحده لا شريك له بإفراده بالتأله دون ما سواه. قال الحق تعالى ذكره: {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه} <sup>2</sup>.

وأعظم ما نهانا الله عنه هو: الشرك بعبادته. قال الرحمن تعالى ذكره: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً} <sup>3</sup>.

إن توحيد الله سبحانه وتعالى بألوهيته، والذي هو: عبادته وحده لا شريك له، ومن ضمنه توحيدَه بأسماءه وصفاته بإثبات كل ما أثبتَه الله لنفسه من أسماء وصفات أو ما أثبتَه له رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم دون تحريف أو تعطيل ودون تكييف أو تمثيل أو تشبيه وإمرارها كما جاءت. والولاء لله ورسوله وللمؤمنين والبراءة من أعدائه أعداء الدين. هذا هو الفرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك. وإنما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً إذا ترك

<sup>1</sup> الذاريات: 56

<sup>2</sup> يوسف: 40

<sup>3</sup> النساء: 36

الشرك عمداً وعلى بصيرة وأفرد الله وحده بالعبادة والتأله.

## ما هي العبادة؟

العبادة؛ هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

مثل الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين، والدعاء والخوف، والمحبة، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من الإسلام، والإيمان. الذي أمر الله أن يكون كله له وحده لا شريك له. وأن لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضاه، وطلب ثوابه، متابعاً في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لذا فكل ما أمرنا الله به ورسوله فهو ما يحبه ويرضاه، وكل ما نهانا الله عنه ورسوله فهو ما لا يحبه ولا يرضاه.

قال الرحمن: {ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم}<sup>4</sup>.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً...<sup>5</sup> الحديث

قال ابن تيمية رحمه الله: (ودين الإسلام مبنى على أصلين: على أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيء، وعلى أن يعبد بما شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذان هما حقيقة قولنا: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله"، فالإله هو الذي تأله القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيماً وخوفاً ورجاء وإجلالاً وإكراماً، والله عز وجل له حق لا يشركه فيه غيره. فلا يعبد إلا الله، ولا يدعى إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يطاع إلا الله.

<sup>4</sup> الزمر: 7.  
<sup>5</sup> البغوي في شرح السنة

والرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلّغ عن الله أمره ونهيه تحليله وتحريمه. فالحلال ما حلله، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرّعه، والرسول صلى الله عليه وسلم واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعدّه ووعدّه، وتحليله وتحريمه؛ وسائر ما بلغه من كلامه<sup>6</sup>.

قال شيخنا العلامة أبو قتادة الفلسطيني حفظه الله ورعاه وسدد خطاه: (التوحيد مداره على آية هي لبّ الفاتحة {إياك نعبد وإياك نستعين}، ودين الله عز وجل كله مربوط بهذه الآية).

{إياك نعبد}: أن يقصد الإنسان بأفعاله طاعة الله عز وجل بامثال ما أمر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.

{إياك نستعين}: أن لا يطلب حاجاته إلا من الله عز وجل ولا يستعين على حاجاته إلا الله عز وجل.

والشرك أن يقصد بأفعاله غير الله، ويمثل أوامر غير الله<sup>7</sup> أه.

## **توحيد العبادة لا يكون إلا بالعلم:**

عبادة الله سبحانه وتعالى لا تكون إلا بالعلم والمعرفة، ولن يعبد الله وحده إلا بالعلم. والشرك هو دليل على الجهل بالله، والمشرِك لم يعرف الله سبحانه وتعالى.

قال الحق: {فاعلم أنه لا إله إلا الله}<sup>8</sup>.

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم...).

<sup>6</sup> مجموع الفتاوى 1/126.

<sup>7</sup> دورة الإيمان.

<sup>8</sup> سورة محمد/19.

قال ابن حجر العسقلاني: (ففي رواية روح بن القاسم عن ابن عباس رضي الله عنهما: فأول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله...

وفي رواية الفضل بن العلاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: إلى أن يوحدوا الله فإذا عرفوا ذلك...

ويجمع بينهما بأن المراد بعبادة الله: توحيدده. وتوحيده الشهادة له بذلك ولنبيه صلى الله عليه وسلم. ووقعت البداءة بهما لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما (إلا بهما).

قال النووي رحمه الله: (قوله صلى الله عليه وسلم: "فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم... إلى آخره".

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا يدل على أنهم ليسوا بعارفين الله تعالى، وهو مذهب حذاق المتكلمين في اليهود والنصارى أنهم غير عارفين الله تعالى، وإن كانوا يعبدونه ويظهرون معرفتهم لدلالة السمع عندهم على هذا، وإن كان العقل لا يمنع أن يعرف الله تعالى من كذب رسولا.

قال القاضي عياض رحمه الله: ما عرف الله تعالى من كذب رسولا. وقال القاضي عياض رحمه الله: ما عرف الله تعالى من شبهه وجسمه من اليهود، أو أجاز عليه البداء، أو أضاف إليه الولد منهم، أو أضاف إليه الصاحبة والولد، وأجاز الحلول عليه والانتقال والامتزاج من النصارى، أو وصفه مما لا يليق به، أو أضاف إليه الشرك والمعاند في خلقه من المجوس والثنية، فمعبودهم الذي عبدوه ليس هو الله وإن سموه به، إذ ليس موصوفاً بصفات الإله الواجبة له، فإذا عرفوا الله سبحانه، فتحقق هذه النكته واعتمد عليها، وقد رأيت معناها لمتقدمي أشياخنا، وبها قطع الكلام أبو عمران الفارسي بين عامة أهل القيروان عند تنازعهم في هذه المسألة، هذا آخر كلام القاضي رحمه الله تعالى<sup>10</sup>.

قال شيخنا أبو بصير الشامي: (وقوله صلى الله عليه وسلم: "فإذا عرفوا الله" أي عرفوا الله بأسمائه وصفاته

<sup>9</sup> فتح الباري 3/418.  
<sup>10</sup> شرح مسلم للنووي 1/199.

وخصائصهم، وعرفوا حقه عليهم من التوحيد وإفراده في العبادة، وأطاعوك في ذلك.. فبعدها أخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم إلى آخر ما جاء في الحديث<sup>11</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله: (وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم وهل ينال العلم إلا بطلبه)<sup>12</sup>.

وقال رحمه الله أيضاً: (ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام ممن لم يعرف الجاهلية. وهذا لأنه لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوّبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منهم أو دونه. فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان، وتجرّد التوحيد، ويبدّع بتجرّد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع)<sup>13</sup>.

وقال ابن القيم رحمه الله: (وأصل الشرك والكفر هو القول على الله بلا علم. فإن المشرك يزعم أن من اتخذه معبوداً من دون الله يقربه إلى الله ويشفع له عنده، ويقضي حاجته بواسطته كما تكون الوسائط عند الملوك، فكل مشرك قائل على الله بلا علم دون العكس إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والإبتداع في دين الله فهو أعم من الشرك، والشرك فرد من أفراده)<sup>14</sup>.

قال شيخنا أبو بصير الشامي: (أقول: لا يشك أن المراد من العلم هو العلم الذي يزيد صاحبه إيماناً ويقيناً، ويحمله على العمل والحركة من أجل إعلاء كلمة هذا الدين).

العلم الذي يحمل صاحبه على أن يوالي في الله ويُعادي في الله، ويحب في الله ويبغض ويجافي في الله.

<sup>11</sup> شروط لا إله إلا الله 47.  
<sup>12</sup> مفتاح دار السعادة 1/87.  
<sup>13</sup> مدارج السالكين 1/351.  
<sup>14</sup> مدارج السالكين 1/378.

العلم الذي يحمله على معاداة أعداء التوحيد وأهله،  
وموالة أهل التوحيد وجنده.

العلم الذي يؤدي بصاحبه إلى الفهم الحقيقي لدلالات  
التوحيد ومتطلباته.

العلم الذي يحمله على العمل والالتزام.

العلم المستقى من الكتاب والسنة بعيداً عن أسلوب  
أهل الكلام ومسائلهم وتعقيداتهم الكلامية!

أما المعرفة النظرية المجردة الباردة، التي لا تلامس  
حرارة القلوب واليقين.. ولا تحمل صاحبها على الإلتزام  
والعمل فهي لا تغني عنه شيئاً، وهي لا تزيده إلا وزراً وإثماً!

هذه المعرفة كان يتصف بها إبليس عليه لعائن الله،  
وأخبار ورهبان أهل الكتاب ومع ذلك ما نفعتهم في شيء،  
كما قال تعالى عنهم: {الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما  
يعرفون أبناءهم} <sup>15</sup>، ومع ذلك لما لم يتبعوا هذه المعرفة  
بالمتابعة والإنقياد لتعاليم وهدى الشريعة فلم تنفعهم  
معرفتهم شيئاً) <sup>16</sup>.

## **عبادة الله لا تكون إلا بما شرع:**

عبادة الله سبحانه وتعالى لا تكون إلا بما شرع على  
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه وتعالى لا  
يقبل أي عمل إلا أن يكون خالصاً له وحده لا شريك له،  
وعلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

قال الرحمن: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له  
الدين حنفاء} <sup>17</sup>.

والحنيف؛ هو التارك للشرك عن قصد وعلم وبصيرة.

قال ابن كثير عليه رحمة الله: (الحنيف: هو المائل  
عن الشرك قصداً، أي: تاركه عن بصيرة، ومقبل على  
الحق بكلية لا يصد عنه صاد ولا يرد عنه راد).

<sup>15</sup> البقرة: 146.  
<sup>16</sup> شروط لا إله إلا الله 49.  
<sup>17</sup> البينة: 5.

فالضالون من المشركون والنصاري وأشباههم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله أو بغير ما أمر الله، وإنما القصد والإرادة النافعة هو إرادة عبادة الله وحده، وهو إنما يعبد بما شرع لا بالبدع وعلى هذين الأصلين يدور دين الإسلام، على أن يعبد الله وحده، وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع<sup>18</sup>.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)<sup>19</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تتبدعوا فقد كفيتم، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)<sup>20</sup>.

قال الحسن: (والله لا يقبل من مبتدع عملاً يتقرب به إليه أبداً لا صلاة، ولا صيام، ولا زكاة، ولا حج، ولا جهاد، ولا عمرة، ولا صدقة...)، حتى ذكر أنواع البر<sup>21</sup>.

والمبتدع: هو الذي أحدث في دين الله ما ليس فيه، وعبد الله بغير ما شرع.

قال ابن القيم رحمه الله: (فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم، ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض وحذروا فتنهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها لم أشد وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال: {ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب} )<sup>22</sup>.

وقال رحمه الله: (ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بُنيت على القبور التي أُتخذت أوثاناً وطواغيت تُعبد من دون الله، والأحجار التي تُقصد للتعظيم والتبرك، والنذر

<sup>18</sup> مجموع الفتاوى 19/173.

<sup>19</sup> متفق عليه، والرواية لمسلم.

<sup>20</sup> الدارمي، والبيهقي، واللالكائي، وابن بطة.

<sup>21</sup> ابن بطة في الشرح والإبانة.

<sup>22</sup> مدارج السالكين 1/157.

والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركاً عندها، وبها، والله المستعان.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وتُميت وتُحيى، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حدو الفدّة بالهدّة، وأخذوا ما أخذهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا يزال طائفة من العصاة المجرّمة بالحق قائمين، ولاهل الشرك واليدع مجاهدين إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين<sup>23</sup>.

نقول وبالله التوفيق: ان الله تعالى لا يعبد إلا بما شرع على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لا يعبد بالأهواء والظنون التي اخترعها الطواغيت على لسان الشياطين.

## **عبادة الله لا تكون بالشرك:**

قال الحق تعالى ذكره: {ولئن أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون}<sup>24</sup>.

وعن أبو هريرة رضوان الله تعالى عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)<sup>25</sup>.

قال شيخ الإسلام: (ودين الإسلام مبنى على أصليين، وهما: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وأول ذلك ألا تجعل مع الله إلهاً آخر، فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله، ولا ترجوه كما ترجو الله، ولا

<sup>23</sup> زاد المعاد 2/200.

<sup>24</sup> الأنعام: 88.

<sup>25</sup> رواه مسلم، وابن ماجه، وأحمد.



تخشاه كما تخشى الله، ومن سَوَّى بين المخلوق والخالق فى شىء من ذلك فقد عدل بالله، وهو من الذين بر بهم يعدلون، وقد جعل مع الله إلهاً آخر، وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض.

فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السموات والأرض، كما قال تعالى: {قُلْ لَنْ يُخْلِقَ اللَّهُ أَشْيَاءَ مِثْلَ مَا يَخْلُقُ أَنتُمْ لَآتُونَ اللَّهَ بِشُرْكَاءَ ۖ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>25</sup>، وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع إله الهة أخرى، قال تعالى: {أَتَكْفُرُونَ بِمَا يَخْلُقُ أَنتُمْ لَآتُونَ اللَّهَ بِشُرْكَاءَ ۖ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>26</sup>، وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع إله الهة أخرى، قال تعالى: {أَتَكْفُرُونَ بِمَا يَخْلُقُ أَنتُمْ لَآتُونَ اللَّهَ بِشُرْكَاءَ ۖ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>27</sup>، وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع إله الهة أخرى، قال تعالى: {أَتَكْفُرُونَ بِمَا يَخْلُقُ أَنتُمْ لَآتُونَ اللَّهَ بِشُرْكَاءَ ۖ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ <sup>28</sup>، فكانوا مشركين لأنهم أحبوا كعبه، لا أنهم قالوا: إن الهتهم خلقوا كخلقه، كما قال تعالى: {أَمْ خَلْقُوا لِلَّهِ شُرْكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ <sup>29</sup>.

وهذا استفهام إنكار بمعنى النفي، أي ما جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فإنهم مقرون أن الهتهم لم يخلقوا كخلقه، وإنما كانوا يجعلونهم شفعاء، ووسائط. قال تعالى: {وَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ بَصِيرَةٌ لَهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَهُوَ يُعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ <sup>30</sup>، وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا لِي لَآ أُعْبَدَ الَّذِي قَطَرْنَا مِن مَّاءٍ حَمِيمٍ أَن تُرْجِعُونَهُ لَنُؤْتِيَهُ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّئِنْ لَآ يُرْجَعِ إِلَيْهِ لَيُعَذَّبَنَّهُ لَآ تَعْلَمُونَ <sup>31</sup>.

الأصل الثانى: أن نعبده بما شرع على ألسن رسله، لا نعبده إلا بواجب أو مستحب، والمباح إذا قصد به الطاعة دخل فى ذلك.

والدعاء من جملة العبادات، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم - مع أن هذا أمر لم يأمر به الله ولا رسوله أمر إيجاب ولا استحباب - كان مبتدعاً فى الدين، مشركاً برب العالمين، متبعاً غير سبيل

<sup>26</sup> لقمان: 25.  
<sup>27</sup> الأنعام: 19.  
<sup>28</sup> البقرة: 165.  
<sup>29</sup> الرعد: 16.  
<sup>30</sup> يونس: 18.  
<sup>31</sup> يس: 22 25

المؤمنين. ومن سأل الله تعالى بالمخلوقين، أو أقسم عليه بالمخلوقين كان مبتدعًا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، فإن ذم من خالفه وسعى في عقوبته كان ظالمًا جاهلاً معتديًا.

وإن حكم بذلك فقد حكم بغير ما أنزل الله، وكان حكمه منقوضًا بإجماع المسلمين، وكان إلى أن يستتاب من هذا الحكم ويعاقب عليه أحوج منه إلى أن ينفذ له هذا الحكم ويعان عليه، وهذا كله مجمع عليه بين المسلمين، ليس فيه خلاف لا بين الأئمة الأربعة ولا غيرهم<sup>32</sup>.

وقال رحمه الله: (فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا ومن لم يستسلم له كان مستكبرًا عن عبادته والمشارك به والمستكبر عن عبادته كافر والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده. فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره)<sup>33</sup>.

وقال: (وإنما بصير الرجل مسلمًا حنيئًا موحدًا إذا شهد أن لا إله إلا الله. فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه أحدًا في تآله، ومحبته له وعبوديته وإنابته إليه، وإسلامه له، ودعائه له، والتوكل عليه، وموالاته فيه، ومعاداته فيه، ومحبته ما يحب؛ وبغضه ما يبغض ويفنى بحق التوحيد عن باطل الشرك، وهذا فناء يقارنه البقاء فيفنى عن تآله ما سوى الله بتآله الله تحقيقًا لقوله: لا إله إلا الله، فيفنى ويفنى من قلبه تآله ما سواه، ويثبت، ويبقى في قلبه تآله الله وحده، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح - : "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة"، وفي الحديث الآخر: "من كان آخر كلامه، لا إله إلا الله دخل الجنة"، وقال في الصحيح: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"، فإنها حقيقة دين الإسلام فمن مات عليها مات مسلمًا)<sup>34</sup>.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: (وليس مجرد قول لا إله إلا الله، من دون عمل بمعناها مثبتًا للإسلام، فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية وكف على صنمه يعبدته لم يكن ذلك إسلامًا)<sup>35</sup>.

<sup>32</sup> مجموع الفتاوى 109-1/108.

<sup>33</sup> مجموع الفتاوى 3/91.

<sup>34</sup> مجموع الفتاوى 8/369.

<sup>35</sup> الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد 40.

## قبول الأحكام من غير الله شرك:

قال تعالى: {ولا يشرك في حكمه أحداً} <sup>36</sup>.

وقال الله عز وجل: {وإن أطعتموهم إنكم لمشركون} <sup>37</sup>.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (أي: حيث عدلتم عن أمر الله وشرعه إلى قول غيره فقد متم عليه فهذا هو الشرك كما قال تعالى: {اتخذوا أhabارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله} <sup>38</sup>، وقال تعالى: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء} <sup>39</sup>).

قال ابن كثير رحمه الله: (أي اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه {ولا تتبعوا من دونه أولياء}، أي لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره، {قليلاً ما تذكرون}، كقوله: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} <sup>40</sup>).

قال شيخنا العلامة أبو قتادة الفيلسطيني: (وإنه لمن الضروري كضرورة استنباط توحيد الأسماء والصفات من توحيد الربوبية وإفرادها بالذكر أن نفرد توحيد الحكم والقضاء والتشريع بالذكر لما صار من معارك كبرى حول حق الله على عبده في الحكم والتشريع وإنكار أهل العصر له.

ألم يقل علماؤنا: الإشراف بالله في حكمه كالإشراف بالله في عبادته، كما قال الشنقيطي؟ ألم يقل محمد بن عبد الوهاب في "كتاب التوحيد": باب من أطاع العلماء والأمراء في تجريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، فلماذا يكون هذا التوحيد بدعة؟ وهل البدعة هي الاجتهاد من نفس الغرز الذي اجتهد فيه السلف؟

<sup>36</sup> الكهف: 26.

<sup>37</sup> الأنعام: 121.

<sup>38</sup> التوبة: 31.

<sup>39</sup> الأعراف: 3.

<sup>40</sup> تفسير ابن كثير للآية

إِنَّ قَوْلَهُ هَؤُلَاءِ الْمُخَالَفِينَ لِتَوْحِيدِ الْحَاكِمِيَّةِ وَوَسْمِهِ بِالْبِدْعَةِ قَدْ رَجَمُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَأَفْتَوْا بِغَيْرِ بَرَهَانٍ، فَلَمْ يَنْصُرُوا حَقًّا وَلَمْ يَبْطُلُوا بَاطِلًا، بَلْ هُمْ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ يَسْبِغُونَ عَلَى كُفْرِ التَّشْرِيعِ وَكُفْرِ الْحُكْمِ وَكُفْرِ الْقَضَاءِ أَثْوَابًا مِنَ الْبَاطِلِ لِيَسْتَرْوَهُمْ بِهَا<sup>41</sup>.

وقال شيخنا في رسالته "لماذا الجهاد"<sup>42</sup>: (وقد تكلم علماؤنا في كفر هذه الأديان والتشريعات الباطلة وحكموا على من شرعها وقام عليها بالكفر والردّة:

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: "من حكم بحكم الإنجيل ممّا لم يأت بالنص عليه وحيّ في شريعة الإسلام فإنّه كافر مشرك خارج عن الإسلام"<sup>43</sup>.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "معلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أنّ من سوّع أتباع غير دين الإسلام أو أتباع شريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر"<sup>44</sup>.

ويقول كذلك: "الشرع المنزّل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله فإنّ هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه، ولا يخرج عنه إلا كافر"<sup>45</sup>.

ويقول: "والإنسان متى حلّل الحرام المجمع عليه أو حرّم الحلال المجمع عليه أو بدّل الشرع المجمع عليه كان كافراً باتفاق الفقهاء"<sup>46</sup>.

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى: "فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر"<sup>47</sup>.

ويقول عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: "من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد التعريف فهو كافر، قال تعالى: {ومن لم يحكم

<sup>41</sup> توحيد الحاكمية 13.

<sup>42</sup> لماذا الجهاد 11- 13.

<sup>43</sup> الاحكام في اصول الاحكام، 5/153.

<sup>44</sup> مجموع الفتاوى، 28/524.

<sup>45</sup> مجموع الفتاوى، 11/262.

<sup>46</sup> مجموع الفتاوى، 3/267.

<sup>47</sup> البداية والنهاية، 13/119.

بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}، وقال تعالى: {أفغير الله يبيغون...} <sup>48</sup>.

وقال عبد الله بن حميد: "ومن أصدر تشريعاً عاماً ملزماً للناس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملة كافراً" <sup>49</sup>.

ويقول محمد بن إبراهيم آل الشيخ: "إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القاتون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاودة لقول الله عز وجل: {فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً} <sup>50</sup>".

## ر "إله إلا الله" الكفر بالطاغوت شرط من شروط

قال الحق تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} <sup>51</sup>.

قال البغوي: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ} يعني: الشيطان، وقيل كل ما يعبد من دون الله <sup>52</sup>.

قال ابن كثير: (وقوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أي من خلع الأنداد والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووجد الله فعبدته وحده، وشهد أنه لا إله إلا هو {فقد استمسك بالعروة الوثقى}، أي فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريق المثلى، والصراط المستقيم) <sup>53</sup>.

<sup>48</sup> الدرر السنية 8/241.  
<sup>49</sup> أهلية الجهاد، ص 196.  
<sup>50</sup> النساء: 59.  
<sup>51</sup> البقرة / 256.  
<sup>52</sup> تفسير البغوي للآية.  
<sup>53</sup> تفسير ابن كثير للآية.

قال الطبري: (والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه، إما يقهر منه لمن عبده، وغما بطاعة ممن عبده له. إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء)<sup>54</sup>.

وأخرج الإمام مسلم عن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم الله ماله ودمه وحسابه على الله)، وفي رواية عند الإمام أحمد: (من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله...).

قال صاحب "فتح المجيد": (قوله: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله"؛ اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم علق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قول لا إله إلا الله عن علم ويقين، كما هو قيد في قولها في غير ما حديث كما تقدم.

والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها والعمل بها.

قلت: وفيه معنى: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها}.

قال المصنف رحمه الله تعالى: "وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل اللفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه. فإيا لها من مسألة ما أجلها ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع" انتهى.

قلت: وهذا هو الشرط المصحح لقوله: لا إله إلا الله، فلا يصح قولها بدون هذا الخمس التي ذكرها المصنف رحمه الله أصلاً، قال تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله}،<sup>55</sup> وقال: {فاقتلوا المشركين حيث

<sup>54</sup> تفسير الطبري للآية.  
<sup>55</sup> الأنفال: 39.

وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد  
فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم<sup>56</sup>،  
أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك ويخلصوا أعمالهم لله  
تعالى، ويقوموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا عن ذلك أو  
بعضه قوتلوا إجماعاً<sup>57</sup>.

## **الإخلاء من الشرك عن قصد وعلم، والبراءة منه شرط في تحقيق التوحيد:**

قال الحق تبارك وتعالى: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة  
وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}<sup>58</sup>.

قال القرطبي: (فإن تابوا}. أي: من الشرك،  
{وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}. هذه الآية  
فيها تأمل وذلك أن الله تعالى علق القتل على الشرك، ثم  
قال: {فإن تابوا}، والأصل أن القتل متى كان للشرك  
يزول بزواله<sup>59</sup>.

قال البغوي: (فإن تابوا}، من الشرك، {وأقاموا  
الصلاة، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}، يقول: دعوهم  
فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة<sup>60</sup>.

قال الطبري: (فإن تابوا} يقول: فإن رجعوا عما  
كانوا عليه من الشرك، ووجود نبوة محمد صلى الله عليه  
وسلم إلى تويد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد  
والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم).

وقال تعالى: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة  
فإخوانكم في الدين}<sup>61</sup>.

وقال تعالى ذكره: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ  
وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ}<sup>62</sup>.

<sup>56</sup> التوبة: 5.

<sup>57</sup> فتح المجيد 35.

<sup>58</sup> التوبة: 5.

<sup>59</sup> تفسير القرطبي للآية.

<sup>60</sup> تفسير البغوي للآية.

<sup>61</sup> التوبة: 12.

<sup>62</sup> الأنفال: 39.

قال ابن كثير: (وقال الضحاك عن ابن عباس {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة}؛ يعني لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم، وقال محمد بن إسحاق: بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير، وغيره من علمائنا، حتى لا تكون فتنة، حتى لا يفتن مسلم عن دينه، وقوله: {ويكون الدين كله لله}، قال الضحاك: عن ابن عباس في هذه الآية، قال يخلص التوحيد لله، وقال الحسن وقتادة وابن جريح {ويكون الدين كله لله} أن يقال لا إله إلا الله، وقال محمد بن إسحاق: ويكون التوحيد خالصاً لله، ليس فيه شرك، ويخلع ما دونه من الأنداد، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: {ويكون الدين كله لله}، لا يكون مع دينكم كفر<sup>63</sup>.

قال البغوي: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةً) أي: شرك. قال الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه {ويكون الدين كله لله}، أي: ويكون الدين خالصاً لله لا شرك فيه، {فإن انتهوا}، عن الكفر، {فإن الله بما يعملون بصير} <sup>64</sup>.

وأخرج مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) <sup>65</sup>.

وعن أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) <sup>66</sup>.

عن أنس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك؛ فقد

<sup>63</sup> تفسير ابن كثير للآية.

<sup>64</sup> تفسير البغوي للآية.

<sup>65</sup> البخاري.

<sup>66</sup> رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، وأحمد.



حرمتم علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما  
للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين<sup>67</sup>.

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم: (بعثت بين يدي الساعة  
بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي  
تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف  
أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)<sup>68</sup>.

فعلم من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
السيف لا يرفع عن رؤوس المشركين حتى يشهدوا أن لا  
إله إلا الله وأن محمد رسول الله، ويقوموا بحقوقها  
وواجباتها. وبالالتزام بها وتلقي الأحكام من الله وحده لا  
شريك ولا ند له.

قال أبو بطين: (وأيضاً فالمقصود من لا إله إلا الله:  
البراءة من الشرك وعبادة غير الله، ومشركوا العرب  
يعرفون المراد منها لأنهم أهل لسان فإذا قال أحدهم: لا  
إله إلا الله فقد تبرأ من الشرك وعبادة غير الله. فلو قال:  
لا إله إلا الله. وهو مصر على عبادة غير الله لم تعصمه هذه  
الكلمة لقوله سبحانه وتعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون  
فتنة} أي: شرك.

{ويكون الدين كله لله}، وقوله تعالى: {وقاتلوهم  
حيث وجدتموهم - إلى قوله - فإن تابوا وأقاموا الصلاة أتوا  
الزكاة فخلوا سبيلهم}. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:  
بعث بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا  
شريك له. وهذا معنى قوله تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون  
فتنة ويكون الدين - أي الطاعة - كله لله}. وهذا معنى: لا  
إله إلا الله<sup>69</sup>.

قال صاحب "تيسير العزيز الحميد": (فمن قال هذه  
الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك  
وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من  
ذلك والعمل به فهذا هو المسلم حقاً فإن عمل به ظاهراً  
من غير اعتقاد فهو المنافق وإن عمل بخلافها من الشرك  
فهو الكافر ولو قالها إلا ترى أن المنافقين يعملون بها  
ظاهراً وهم في الدرك الأسفل من النار واليهود يقولونها

<sup>67</sup> رواه البخاري، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وأحمد.

<sup>68</sup> أحمد.

<sup>69</sup> مجموعة الرسائل والمسائل 5/495.

وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر فلم تنفعهم، وكذلك من ارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها فانها لا تنفعه ولو قالها مائة ألف فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله كعباد القبور والأصنام فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها وما أشبهه من الأحاديث وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وحده لا شريك له تنبيها على أن الإنسان قد يقولها وهو مشرك كاليهود والمنافقين وعباد القبور لما رأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا قومه إلى قول "لا إله إلا الله"، ظنوا أنه إنما دعاهم إلى النطق بها فقط وهذا جهل عظيم وهو عليه السلام إنما دعاهم إليها ليقولوها ويعملوا بمعناها ويتركوها عبادة غير الله ولهذا قالوا: {أنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون}، وقالوا: {أجعل الآلهة إلهًا واحدًا}، فلهذا أبوا عن النطق بها وإلا فلو قالوها وبقوا على عبادة اللات والعزى ومناة لم يكونوا مسلمين ولقاتلهم عليه السلام حتى يخلعوا الأنداد ويتركوها عبادتها ويعبدوا الله وحده لا شريك له وهذا أمر معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة والاجماع<sup>70</sup>.

وأخرج البخاري رحمه الله تعالى عن جبير قال: (بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين... فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السموات والأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبياً من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم؛ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية).

فاعلم أخي الموحد - رحماني الله وإياك - أن القتال غاية أفراد الله تعالى بالعبادة، أن يعبد وحده لا شريك، والتبرأ من جميع الأنداد من الإنس والجن والشجر والحجر التي تعبد من دونه، من أجل هذا أرسل الله الرسل، ولهذا أنزل الكتب، ومن أجل هذا أقام سوق الآخرة، {ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

<sup>70</sup> تيسير العزيز الحميد 54.

الفارق المبين بين  
الموحدين والمشركين

انتهى بعون الله ومثّه  
في 20 من شهر ربيع الثاني من سنة 1425  
من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم  
وكنت قد كتبت جل هذه الرسالة في سجن رومية، لبنان

جابر بن عبد القيوم  
الساعدي  
أبو قتيبة الشامي

منبر التوحيد والجهاد

\* \* \*

ten.esedqamla.www//:ptth  
sw.dehwat.www//:ptth  
[ofni.hannusla.www //:ptth](http://ofni.hannusla.www//:ptth)

moc.adataq-uba.www//:ptth

موقعنا على الشبكة

sw.dehwat.www//:ptth  
ten.esedqamla.www//:ptth

[ofni.hannusla.www //:ptth](http://ofni.hannusla.www//:ptth)

moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www  
ten.esedqamla.www  
[ofni.hannusla.www](http://ofni.hannusla.www)  
moc.adataq-uba.www